

بسم الله الرحمن الرحيم

من حياة الأتقياء (أحمد بن حنبل)

الحلقة الثامنة والعشرون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:-

أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة أحد الأتقياء، الإمام الزاهد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد ... الشيباني .

تربى هذا الإمام يتيماً ، وكانت أمه شديدة الحرص عليه تولت رعايته وطلبه للعلم، فكنت مثلاً للأمهات في تنشئة الرجال والعلماء ، فقد حكى عنها أنها موقفاً من مواقف حرصها عليه ، فيقول: كنت ربما أردت البكور في الحديث، أي أنه يريد الخروج إلى طلب الحديث والسماع من المحدثين قبل طلوع الفجر ، ويقول فتأخذ أُمِّي بثيابي ، وتقول : حتى يؤذن الناس أو يصحوا .

وهذا الموقف يدلنا من طرف آخر على شدة حرص أحمد بن حنبل في صغره على طلبه للعلم ، والتبكير إليه ، ومسك أمه بثيابه يدل على المغالبة فكأنه يريد أن يغلبها على نفسه فيخرج قبل طلوع الفجر لسماع الحديث ، ولكن أمه تخشى عليه الخروج في هذا الوقت من الليل .

عجباً لك يا ابن حنبل ، وما أروع هذا الموقف من حياتك في شبابك ، فأين أنت من شباب هذا الزمان ، فلعلهم يستيقظوا لصلاة الفجر ، لا نقول للتبكير لطلب العلم ، وربما كانت المغالبة بينهم وبين أهليهم على عكس المغالبة بين الإمام أحمد وأمّه .

ومن أخباره في طلبه ورحلته ، يقول المروزي سمعت أبا عبد الله يقول مات هشيم ولي عشرون سنة فخرجت انا والاعرابي رفيق كان لأبي عبد الله قال فخرجنا مشاة فوصلنا الكوفة يعني في سنة ثلاث وثمانين فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق فاعطى الاعرابي حجة بستين درهما فخرج وتركني في بيت وحدي فاستوحشت وليس معي الا جراب فيه كتي كنت اضعه فوق لبنة واضع رأسي عليه وكنت اذا كر وكيعا بحديث الثوري وذكر مرة شيئا فقال هذا عند هشيم فقلت لا وكان ربما ذكر العشر احاديث فأحفظها فإذا قام قالوا لي فامليها عليهم .

لقد عرف العلماء قدر علم الإمام أحمد ، فعن المزني قال لي الشافعي رأيت ببغداد شابا اذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق قلت ومن هو قال أحمد بن حنبل .

وقال حرملة سمعت الشافعي يقول خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا افضل ولا اعلم ولا افقه ولا اتقى من أحمد بن حنبل . وقال الزعفراني قال لي الشافعي ما رأيت اعقل من أحمد وسليمان ابن داود الهاشمي .

ولقد كان لعلم الإمام أحمد (رحمه الله) الأثر الكبير في حياته ، مما تدل عليه أخبار ورعه وتقواه .

وعن أحمد بن سنان قال بلغني ان أحمد ابن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها.

وعن صالح قال : قال لي أبي جاءني امس رجل كنت احب ان تراه بينا انا قاعد في نحر الظهيرة اذا برجل سلم بالباب فكان قلبي ارتاح ففتحت فإذا انا برجل عليه فروة وعلى رأسه خرقة ما تحت فروه قميص ولا معه ركوة ولا جراب ولا عكاز قد لوحته الشمس فقلت ادخل فدخل الدهليز فقلت من اين اقبلت قال من ناحية المشرق اريد الساحل ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد نويت السلام عليك قلت على هذه الحال قال نعم ما الزهد في الدنيا قلت قصر الامل قال فجعلت اعجب منه فقلت في نفسي ما عندي ذهب ولا فضة فدخلت البيت فأخذت اربعة ارغفة فخرجت اليه فقال أو يسرك ان اقبل ذلك يا أبا عبد الله قلت نعم فأخذها فوضعها تحت حضنة وقال ارجو ان تكفيني إلى الرقة استودعك الله فكان

يذكره كثيرا .

ما أحوج الأمة إلى أمثال أحمد بن حنبل (رحمه الله) فيما سطره من من الأخبار الجميلة في العلم النافع والعمل الصالح ، والخلق الحسن .

لقد استفاد الإمام أحمد من علمه الخير الكثير ، فكما برع في العلم فقد برع في العمل وحسن الخلق ، فعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال ما اعلم اني رايت احدا انظف بدنا ولا اشد تعاهدا لنفسه في شاربهِ وشعر راسه وشعر بدنه ولا انقى ثوبا بشدة بياض من أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

فهذه الأوصاف الجليلة مما يحمد عليه الرجل المسلم ، فقد جاءت التوجيهات النبوية بأن يتعاهد الإنسان نفسه بهذه الأمور ، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْفِطْرَةُ خَمْسُ خِثَانٍ وَالْإِسْتِحْدَادُ وَتَنْتُفُ الْإِبْطِ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ .

ومن تأمل حال بعض الناس في هذا الزمان وجد أنهم قد أهملوا بعض هذه الجوانب وهم في المقابل يزعمون النظافة ويحرصون عليها، فتجد بعضهم قد أهمل أظفاره ، أو أطال بعضها متعمداً فهذا قد خالف الفطرة، فضلاً عن تعريض نفسه للضرر . وتجد آخر قد حرص حلق لحيته في كل يوم زاعماً أن ذلك من نظافة الوجه ، وهو مع هذا قد ارتكب محرماً ، وخالف أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَقَرُّوا اللَّحَى وَأَحْقُوا الشَّوَارِبَ) أخرجه البخاري . وأما الشارب الذي يسن له الأخذ منه وتعاهده ، فإن بعضهم قد أطاله ، وربما افتخر بطوله .

أيها المستمعون الكرام ، نعود مرة اخرى إلى سيرة صاحبنا في هذه الحلقة أحمد بن حنبل ، وتلك المواقف الجميلة من حياته .

فعن صالح بن أحمد قال : قال لي أبي : كانت والدتك في الظلام تغزل غزلا دقيقا فتبيع الاستار بدرهمين اقل أو اكثر فكان ذلك قوتنا . وقال صالح : وكنا اذا اشترينا الشيء نستره عنه كيلا يراه فيوبخنا . فهذا دليل على قناعته وتواضعه (رحمه الله) فهو لا يريد من

الدنيا إلا يسير القوت الذي يسد حاجته .

ومع ما بلغ الإمام أحمد (رحمه الله) من الخير فإنه كان شديد التواضع ولا يفتخر بشيء من ذلك الخير على أحد ، قال يحيى بن معين ما رأيت مثل أحمد صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير . هذه حياة الأتقياء ، هذه سيما الصالحين وعلامة المتقين ، فإنهم يعرفون أن ما بهم من الخير فمن الله سبحانه وتعالى وحده ، فلا يفتخرون به على أحد ، بل يحمدون الله ويشكرونه على هذا الخير .

أيها المستمعون الكرام ، في الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله وصحبه أجمعين ...